الفصل الأول

القُرطُبيّ

حياتُهُ وتفسيره

حياة القرطبي

اسمه وكنيته:

هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبدالله، الأنصاري، الخزرجي، المالكي، المعروف بالقرطبي[1].

ولادته:

لم يُشِرْ أحدٌ من الذين ترجموا له إلى سنة ولادته، ولكنها على الراجح كانت في أوائل القرن السابع الهجري[2]، في مدينة قرطبة[3][4].

نشأته:

نشأ القرطبي في كَنَفِ أُسرةٍ فقيرة تعمل بالزراعة في ضواحي قرطبة. ويتضح ذلك من حادثة مقتل والده (رحمه الله) على يد المسيحيين وهو يعمل في حقله[5].

وكانت قرطبة مركزاً للعلم وأهله[6]، ونبغ كثير من أبنائها في مختلف

(١) «طبقات المفسرين» للسيوطي /٣٨، و«طبقات المفسرين» للداودي ٢/٦٦.

(٢) «شذرات الذهب» ٥/٣٢٥، و«القرطبي ومنهجه في التفسير» /٣٦.

(٣) مدينة أندلسية معروفة، عاصمة الثقافة العربية في الأندلس.
ينظر: «معجم البلدان» ٤/٣٢٢، و«نفح الطيب ١/١٠٠.

(٤) «مجلة الرسالة» القاهرية، عدد/٨٥٨، لسنة ١٩٤٩م، ص/١٧٠٣.

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» ٤/٢٧٢، و«القرطبي ومنهجه في التفسير» /٧.

(٦) «قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس» ١/١٨.

العلوم والفنون[1].

وسأضع بين يدي القارىء جملةً من أولئك الأعلام الذين انتسبوا إلى تلك المدينة العظيمة:ـ

١ ـ قاسم بن محمد بن سيار، القرطبي، المعروف بالبياني، فقيه ومحدث ومفسر، وله كتب، من بينها تفسير للقرآن الكريم، و«الإيضاح في الرد على المقلدين»، توفي سنة (٢٧٦هـ)[2].

٢ ـ هارون بن موسى بن صالح (أبو نصر)، أديب، من آثاره: «تفسير عيون كتاب سيبويه»، توفي سنة (٤٠١هـ)[3].

٣ ـ عبدالرحمٰن بن الحسن بن سعيد القرطبي، مقرىء، له كتاب «المقاصد في القراءات»، توفي سنة (٤٤٦هـ)[4].

٤ ـ يوسف بن عبدالله، المعروف بابن عبدالبر، القرطبي، محدث حافظ ومشارك في كثير من العلوم، آثاره كثيرة منها: «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»، و«الاكتفاء في قراءة نافع وأبي عمرو بن العلاء»، و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، توفي سنة (٤٦٣هـ)[5].

٥ ـ محمد بن أحمد بن رشد، أبو الوليد، القرطبي، فقيه وأصولي، ترك آثاراً كثيرة، أبرزها: «المقدمات» لأوائل كتب المدونة[6]، توفي سنة

---

(١) المصدر نفسه ١/٨.

(٢) «نفح الطيب» ٦/٢٧، و«معجم المؤلفين» ٨/١٢٢.

(٣) «بغية الوعاة» ٢/٣٢١، و«هدية العارفين» ٢/٥٠٣.

(٤) «غاية النهاية في طبقات القراء» ١/٣٦٧، و«معجم المؤلفين» ٥/١٣٤.

(٥) «الديباج المذهب»/٣٥٧، و«كشف الظنون» ٨١، ١٤٢.

(٦) «المدونة في فروع المالكية» لأبي عبدالله عبدالرحمٰن بن القاسم المالكي، =

(٥٢٠هـ)[1].

٦ ـ أحمد بن عبدالرحمٰن، أبو العباس، القرطبي، المعروف بابن مضاء، نحوي[2]، صاحب كتاب «الرد على النحاة» الذي طالب فيه بإلغاء العوامل النحوية، وإلغاء العلل الثواني والثوالث، والتقديرات والتأويلات من النحو العربي، توفي سنة (٥٩٢هـ)[3].

٧ ـ عبدالله بن الحسن بن أحمد بن أحمد، أبو محمد القرطبي، محدث حافظ، وقارىء، وفقيه، ونحوي، ولغوي، له مؤلفات كثيرة في العروض والقراءات من بينها: «جزء في قراءة نافع»، توفي سنة (٦١١هـ)[4].

٨ ـ أحمد بن عمر، أبو العباس، المعروف بابن المزين، القرطبي، له مؤلفات عدة، أبرزها: «المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم»، توفي سنة (٦٥٦هـ)[5].

٩ ـ أحمد بن محمد بن عمر، أبو العباس، المعروف بضياء الدين القرطبي، متكلم، من مؤلفاته: «زجر المفتري على أبي الحسن الأشعري»، توفي سنة (٦٧٢هـ)[6].

= المتوفى سنة ١٩١هـ، ينظر: «كشف الظنون» ٢/١٦٤٤.

(١) وهو غير ابن رشد الفيلسوف، ينظر: «الديباج المذهب»/٢٧٨.

(٢) «بغية الوعاة» ١/٣٢٣.

(٣) «الرد على النحاة»، مقدمة المحقق/١١، و«خصائص مذهب الأندلس النحوي»/٢٢، و«معجم المؤلفين» ١/٢٦٨.

(٤) «بغية الوعاة» ٢/٣٧، و«معجم المؤلفين» ٦/٤٢.

(٥) «نفح الطيب» ٢/٥، و«معجم المؤلفين» ٢/٢٧.

(٦) «طبقات الشافعية» للسبكي ٢/٢٨٨، و«معجم المؤلفين» ٢/١٤١.

١٠ ـ محمد بن أحمد، كمال الدين، القرطبي، مؤرخ، له كتاب في التأريخ في مجلدات عدة، توفي سنة (٦٩٣هـ)[١].

هجرته إلى مصر:

خرج القرطبي من قرطبة بعد سقوطها في أيدي المسيحيين سنة (٦٣٣هـ)[٢]، وتوجه مع كثير من المسلمين إلى إشبيلية، وبعد مدة غادر الأندلس كلها قاصداً مصر، فنزل في الأسكندرية أوَّلاً، ثم انتقل بعد ذٰلك إلى القاهرة، ومنها انتقل إلى صعيد مصر، واستقر في مدينة (منية بني الخصيب)[٣] التي عاش فيها بقية حياته[٤].

أما عن وقت وصوله مصر، فلم تشر المراجع إلى ذٰلك عدا ما ذكره القصبي زلط من أنه وصل إليها قبل سنة ٦٤٨هـ، وقد اعتمد في ذٰلك على أن شيخه ابن رواج قد توفي في تلك السنة[٥]، فلا بد أن يكون القرطبي قد وصل مصر قبل ذٰلك ولو بقليل.

عمله:

لم أعثر على ما يشير إلى عمله في بدء حياته، سوى مساعدة والده في الزراعة، إلا أنه قد تفرغ بعد ذٰلك لطلب العلم وحضور حلقاته طلباً وتدريساً[٦] قبل خروجه من الأندلس، وازدادت صلته

(١) ينظر: «الوافي بالوفيات» ١٣٩/٢، و«معجم المؤلفين» ٣٠٩/٨.

(٢) «تأريخ الأندلس» /٤٢٩.

(٣) هي مدينة مصرية تقع على النيل في صعيد مصر، تعرف اليوم بمدينة (المنيا)، ينظر: «الخطط التوفيقية» ٥١/١٦.

(٤) «شذرات الذهب» ٣٣٥/٥.

(٥) المصدر نفسه ٢٤٢/٥، وينظر: «القرطبي ومنهجه في التفسير» /٢١.

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» ٢٧٢/٤، و«طبقات المفسرين» للداودي ٦٦/٢.

بالبحث والعلم بعد خروجه منها، فأخذ يصنف الكتب المفيدة في علوم الشريعة والعربية، وخاصة في التفسير، وكان ثمرة ذٰلك العمل أن أتحَفَنا بتفسيره العظيم «الجامع لأحكام القرآن».

زهـــــــده:

كان أبو عبدالله القرطبي من الزهاد[1]، ولكنه لم يكن من غلاة المتزهدين، بل كان زهده زهد العلماء العارفين[2]، ولقد هاجم غلاة المتصوفة والمتزهدين، ووصفهم بالجهل، وذٰلك عند حديثه عن قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ، قال رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ﴾[3]، فقال: «وفي هٰذا رد على بعض جهال المتصوفة، حيث قال: الذي يطلب الولد أحمق، وما عرف أنه هو الغبي الأخرق»[4].

وكذٰلك عند حديثه عن قوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تَسَاقَطْ عَلَيكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[5] حيث قال: «الأمر بتكليف الكسب في الرزق سنة الله تعالى في عباده، وأنَّ ذٰلك لا يقدح في التوكل خلافاً لما تقوله جهال المتزهدة»[6].

ثقافته ومكانته العلمية:

تلقى القرطبي العلم في مختلف البلاد التي أقام فيها، فقد أخذ

---

(١) «طبقات المفسرين» للداودي ٢/٦٦، و«القرطبي ومنهجه في التفسير»/٣٣.

(٢) «نفح الطيب» ٢/٢١٠، و«التفسير والمفسرون» ٢/٤٥٧.

(٣) آل عمران: ٣٨.

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» ٤/٧٣.

(٥) مريم: ٢٤-٢٥.

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» ١١/٩٥.

من علماء قرطبة والإسكندرية والقاهرة، وتنقل بين حلقات العلم في هٰذه المدن، فانتهل منها علوماً شتى[1]، ولم تفتر همته في طلب المعرفة، فغدا عَلَماً من أعلامها، حتى قيل عنه: إنه كان من كبار المفسرين، وكان إماماً علماً من الغواصين على معاني الحديث، وكان من العلماء العارفين[2].

شيوخه:

كان له شيوخ في مختلف العلوم والفنون، ومن مختلف المدن التي أقام فيها، وسأذكرهم فيما يأتي مرتبين بحسب وفياتهم:-

١ - ربيع الأشعري:

هو ربيع بن عبدالرحمٰن بن أحمد أبو سليمان الأشعري[3]، قاضي قرطبة، كان من عباد الله الصالحين، عدلاً في أحكامه، نبيهاً في قدره وبيته[4].

أخذ عنه كثيرون، وكان منهم أبو عبدالله القرطبي[5]، توفي سنة ٦٣٣هـ[6].

---

(١) «عصر المرابطين والموحدين» ٢/٦٧٥، وينظر: «القرطبي ومنهجه في التفسير» ٩، ٢١، ٣٩.

(٢) «نفح الطيب» ٢/٢١٠، وينظر: «شذرات الذهب» ٥/٣٣٥، و«التفسير والمفسرون» ٢/٤٥٧.

(٣) «الديباج المذهب» / ١٤٢.

(٤) «تكملة الصلة» ١/٣٢٣.

(٥) «الديباج المذهب» /١٤٢، و«القرطبي ومنهجه في التفسير»/١٣.

(٦) «تكملة الصلة» ١/٣٢٣.

٢ ـ يحيى الأشعري:

هو يحيى بن عبدالرحمٰن بن أحمد الأشعري، المعروف بابن أبي عامر، أخو ربيع الأشعري[١]، وهو من أهل قرطبة أيضاً، وكان من أجلّ أهلها في كبر البيت وغزارة العلم وجلالة المنصب، وصار قاضياً فيها وفي غرناطة بعدها[٢]. وهو فقيه متكلم له مشاركة في العلوم العقلية[٣].

أخذ عنه كثيرون[٤]، من بينهم أبو عبدالله القرطبي، توفي سنة ٦٤٠هـ[٥].

٣ ـ ابن أبي حُجَّة:

هو أحمد بن محمد، أبو جعفر، القيسي، المعروف بابن أبي حُجَّة[٦]، من أهل قرطبة[٧]، كان مقرئاً متقدماً، ونحوياً محققاً، ومحدثاً حافظاً، وزاهداً ورعاً، له كتاب «تسديد اللسان» في النحو[٨].

أَقْرَأَ القرآن والنحو في قرطبة، وأخذ عنه كثير من أبنائها[٩]، وكان

---

(١) «نيل الابتهاج» /٣٥٥.
(٢) «الإحاطة في أخبار غرناطة» ٢/٩٦.
(٣) «تكملة الصلة» ١/٧٢٩.
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» ٣/٢٣٧، و«القرطبي ومنهجه في التفسير» /١٤.
(٥) «تكملة الصلة» ١/٧٣٠.
(٦) «بغية الوعاة» ١/٣٨٣.
(٧) «إيضاح المكنون» ٣/٢٨٦.
(٨) «بغية الوعاة» ١/٣٨٣.
(٩) «غاية النهاية» ١/١٣٦.

منهم أبو عبدالله القرطبي[1]، توفي سنة ٦٤٣هـ[2].

٤ - ابن رواج:

هو رشيد الدين، أبو محمد، عبدالوهاب بن ظافربن علي، المعروف بابن رواج، الأسكندري المالكي[3].

كان محدثاً فقيهاً، صالحاً، متعبداً، متواضعاً[4]. أقرأ الفقه وحدَّث في الأسكندرية[5]، وأخذ عنه كثير من طلاب العلم، كان من بينهم أبو عبدالله القرطبي[6]، توفي سنة ٦٤٨هـ[7].

٥ - ابن الجميزي:

هو بهاء الدين علي بن هبة الله بن سلامة، أبو الحسن، المعروف بابن الجميزي[8].

كان إماماً في الحديث والفقه والقراءات والنحو، الذي أخذ عنه ابن بري، وكان كبير القدر رفيع الجاه، معظّماً عند الخاص والعام[9].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ٤/٢٧٢، و«القرطبي ومنهجه في التفسير» /١٢.

(٢) «بغية الوعاة» ١/٣٨٣.

(٣) «شذرات الذهب» ٥/٢٤٢.

(٤) «القرطبي ومنهجه في التفسير» /٢٣.

(٥) «شذرات الذهب» ٥/٢٤٢.

(٦) «طبقات المفسرين» للسيوطي/٣٩، وينظر: «القرطبي ومنهجه في التفسير»/٢٣.

(٧) «شذرات الذهب» ٥/٢٤٢.

(٨) «نفح الطيب» ١/١٠٢.

(٩) «شذرات الذهب» ٥/٢٤٦.

أخـذ عنه كثير من طلاب العلم في مصر، وكان من بينهم أبو عبدالله القرطبي[1]، توفي سنة ٦٤٩هـ[2].

٦ ـ أبو العباس القرطبي:

هو أحمد بن عمر بن إبراهيم، أبو العباس، القرطبي، المالكي[3]، ولد بقرطبة ورحل منها إلى المشرق، واستقر في الأسكندرية[4].

كان بارعاً في الفقه والعربية، إماماً في الحديث، وله فيه مؤلفات كثيرة أبرزها: «المُفْهِمُ لِما أَشْكَلَ من تَلْخِيصِ مُسْلِم»[5].

أَقرأَ الطلاب في الاسكندرية وكان منهم أبو عبدالله القرطبي[6]، توفي سنة ٦٥٦هـ[7].

٧ ـ صدر الدين البكري:

هو الحسن بن محمد بن محمد بن عمر، القرشي، التميمي، البكري، أبو علي المعروف بصدر الدين البكري، الدمشقي مولداً، المصـري وفاةً[8]، كان محدّثاً حافظاً، مؤرخاً رحالاً[9]، له اتجاهاتٌ

---

(١) «القرطبي ومنهجه في التفسير» /٢٥.

(٢) «نفح الطيب» ١/١٠٢.

(٣) «الديباج المذهب» /٦٨.

(٤) «حسن المحاضرة» ١/٢٦٠.

(٥) «شذرات الذهب» ٥/٢٧٣.

(٦) «الديباج المذهب» /٦٩، و«القرطبي ومنهجه في التفسير»/٢٦.

(٧) «شذرات الذهب» ٥/٢٧٣.

(٨) «الوافي بالوفيات» ١١/٣١.

(٩) «شذرات الذهب» ٥/٢٧٣.

صوفيّة[1]، شرع بتصنيف تأريخ لدمشق مذيّلاً على «تأريخ ابن عساكر»[2].

أخذ عنه كثير من طلاب العلم، كان من بينهم أبو عبدالله القرطبي[3]، توفي سنة ٦٥٦هـ[4].

٨ ـ أبو الفدا الحميري:

هو إسماعيل بن محمد بن إسماعيل، أبو الذبيح، المعروف بأبي الفدا الحميري[5]، كان فقيهاً محدثاً، له عدة مؤلفات، منها: «شرح المهذب في الفقه الشافعي»[6]، تولى القضاء في (تهامة)[7]، ودرس في مصر[8].

أخذ عنه كثير من طلاب العلم، كان من بينهم أبو عبدالله القرطبي[9]، توفي سنة ٦٧٦هـ[10].

---

(١) «الوافي بالوفيات» ١١/٣١.

(٢) «معجم المؤلفين» ٣/٢٨٩.

(٣) «نفح الطيب» ٢/٢١٠، وينظر: «القرطبي ومنهجه في التفسير»/٢٧.

(٤) «شذرات الذهب» ٥/٢٧٣.

(٥) «تكملة الصلة» ٢/٧٠٨.

(٦) وهو: «المهذب في الفروع» للشيرازي (ت: ٤٧٦هـ).
ينظر: «كشف الظنون» ٢/١٩١٢.

(٧) وهي المنطقة المجاورة للبحر في الجزيرة العربية ومنها مكة عاصمة الحجاز.
ينظر: «معجم البلدان» ٢٠/٦٣، ١٣٧.

(٨) «طبقات الشافعية» للسبكي ٥/٥٠.

(٩) «طبقات المفسرين» للسيوطي /٣٨.

(١٠) «تكملة الصلة» ٢/٧٠٨.

٩ ـ عبدالمعطي اللخمي:

هو عبدالمعطي بن محمود بن عبدالمعطي أبو محمد اللخمي[١]، كان عالماً في الفقه، متصوفاً زاهداً في أمور الدنيا[٢].

أخذ عنه كثير من طلاب العلم، وكان من بينهم أبو عبدالله القرطبي[٣]، ولم أعثر على سنة وفاته.

١٠ ـ ابن قطرال:

ذكر القرطبي في تفسيره ـ أنَّه أخذ عن علي بن قطرال، قاضي الجماعة[٤] ـ.

ولم أعثر على ترجمة له فيما تيسر لي من مراجع، وقد ذكره ابن الخطيب وسماه القاضي علي بن قطرال[٥]، ولم يزد على ذٰلك.

١١ ـ أبو الحسن اليحصبي:

هو علي بن محمد بن علي بن حفص المعروف باليحصبي[٦]، كان كاتباً محدثاً[٧]، أخذ عنه كثيرون في مصر، وكان من بينهم أبو

---

(١) «كشف الظنون» ١/٨٨٣.

(٢) «إيضاح المكنون» ٣/١٠٢.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» ١١/٤٣، و«هدية العارفين» ١/٦٢٢.

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» ٢/٢٧٢.

(٥) «الإحاطة في أخبار غرناطة» ٢/٣٤٩.

(٦) المصدر نفسه ٢/٩٦.

(٧) «تكملة الصلة» ١/٣٤٠.

عبدالله القرطبي[1]، ولم أعثر على سنة وفاته.

تلاميـــــذه:

لم أعثر على تلاميذ له سوى اثنين، وذلك على الرغم من تفرغه للعلم طلباً وتدريساً وتصنيفاً[2]، وهذان التلميذان هما: ولده (شهاب الدين) أحمد، وابن عميرة[3]، وفيما يأتي ترجمة موجزة لكل منهما:

١ - ابن عميرة: ت:٦٥٦هـ:

هو أحمد بن عبدالله بن محمد بن الحسن، المعروف بابن عميرة[4]، كان عالماً فقيهاً أديباً[5].

ولد في (شقورة)[6]، ونشأ في (بلنسية)[7]، وانتقل إلى غرناطة، وولي القضاء في عدة مدن أندلسية[8].

أخذ عن كثيرين، منهم: أبو عبدالله القرطبي[9]، توفي في تونس سنة ٦٥٦هـ[10].

---

(١) «نفح الطيب» ٢/٢١٠. (٢) «طبقات المفسرين» للداودي ٢/٦٦.

(٣) «الإحاطة في أخبار غرناطة» ١/١٧٤، و«طبقات المفسرين» للسيوطي»/٣٩.

(٤) «الإحاطة في أخبار غرناطة» ١/١٧٩.

(٥) «الديباج المذهب» /٤٦.

(٦) وهي مدينة أندلسية من أعمال مدينة جَيَّان.

ينظر: «معجم البلدان» ٣/٣٥٥.

(٧) وهي مدينة أندلسية تقع شرق قرطبة.

ينظر: «معجم البلدان» ١/٤٩٠.

(٨) «لسان الميزان» ١/٢٠٣.

(٩) «الإحاطة في أخبار غرناطة» ١/١٧٤.

(١٠) المصدر نفسه ١/١٧٩.

٢ ـ أحمد الأشبيلي: ت: ٦٩٩هـ:

هو أحمد بن محمد بن فَرْحٍ، أبو العباس الأشبيلي[١]، كان إماماً بالحديث، فقيهاً زاهداً[٢]، تلقى العلم عن كثيرين في كل من بلاد الأندلس ومصر والشام، وأخذ العلم عن والده أبي عبدالله القرطبي الذي أجازه، وأخذ أيضاً عن الشيخ عز الدين بن عبدالسلام[٣].

وله قصيدة في الغزل ضمَّنها مصطلحات في علم الحديث، أَوَّلُها[٤]:

غَرَامي صَحِيحٌ[٥] والـرَّجا فيكَ مُعْضِلُ[٦]
وحُــزْني ودَمْعِي مُرْسَــلٌ[٧] ومُسَلْسَـلُ[٨]

وقد حمل لقبه الأشبيلي، نسبة إلى إشبيلية، المدينة التي عاش فيها بعد خروج والده من قرطبة[٩].

---

(١) «طبقات الشافعية» للسبكي ٥/١٢.

(٢) «شذرات الذهب» ٥/٤٤٣.

(٣) «طبقات المفسرين» للسيوطي/٣٩.

(٤) «طبقات الشافعية» للسبكي ٨/٢٧.

(٥) الحديث الصحيح: هو المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط من مثله إلى منتهاه وليس شاذاً ولا معللاً.
ينظر: «الباعث الحثيث»/٦.

(٦) الحديث المعضل: هو الساقط من إسناده اثنان فصاعداً.
ينظر: المصدر نفسه /٢٩.

(٧) الحديث المرسل: هو حديث التابعي الكبير الذي أدرك الصحابة وجالسهم.
ينظر: المصدر نفسه/٢٥.

(٨) المسلسل: صفة لرواية الحديث كقولهم: سمعنا.
ينظر: المصدر نفسه/٨٩.

(٩) «القرطبي ومنهجه في التفسير»/٤٣.

توفي في دمشق سنة (٦٩٩هـ)[١].

آثـــــاره:

ذكرت كتب التراجم ما يفيد أن أوقات القرطبي كانت ما بين توجهٍ إلى الله وعبـادةٍ وتصنيف[٢]، وأن له مؤلفـات تدلّ على إمامته وكثرة اطلاعه ووفور فضله[٣].

ولقـد وجـدت له كتبـاً في مختلف الفنـون الإسلامية والعربية: كالتفسير والحـديث والفقـه والـزهد والموعظة واللغة، وكثير منها يعد موسوعة في فنه.

وسأ**حاول** فيما يأتي تقديمَ تعريفٍ موجزٍ بكل منها، مرتباً ذلك على الحروف الهجائية، وهي:

١ ـ أرجوزة في أسماء النبي ﷺ:

نسبها إليه الداودي وأحمد أحمد بدوي[٤].

٢ ـ الأَسنى في شرح أسماء الله الحسنى:

توجد لهٰذا الكتاب نسخة خطية في مجلدين، في مكتبة (عارف حكمت) في المدينة المنورة[٥].

---

(١) «شذرات الذهب» ٥/٤٤٣.

(٢) «طبقات المفسرين» للداودي ٢/٦٦.

(٣) «طبقات المفسرين» للسيوطي /٣٩.

(٤) «طبقات المفسرين» للداودي ٢/٦٥، و«مجلة الرسالة» القاهرية، العدد ٨٥٨ لسنة ١٩٤٩، ص/١٠٧٣.

(٥) وهما جزءان من الكتاب تحت رقم (٨٨ أدعية)، و(٢٩٦)، ينظر: فهرست =

وقد أشار إليه القرطبي في تفسيره كثيراً[1]، وأشار إليه أيضاً في كتابه «التذكار»[2].

٣ ـ الأعلام بمولد النبي عليه السلام:

نسبه إليه كل من البغدادي، والقصبي زلط[3]، وأشار إليه القرطبي في تفسيره[4].

٤ ـ الأقضية:

نسبه إليه القصبي زلط، واعتمد في ذٰلك على (بروكلمان)[5].

٥ ـ التذكار في أفضل الأذكار:[6]

نسبه إليه عدد ممن ترجم له[7]، ووصفوه بقولهم عنه: «وضعه على طريقة «التبيان»[8] للنووي، إلا أنه كان أتم من «التبيان»

= مخطوطات (عارف حكمت) ٢٦٣.

(١) من ذٰلك: ٢/١٢٨ و١٥/٩٦ و١٦/٨ و١٩/٢٩٧ و٢٠/٣١.

(٢) «التذكار في أفضل الأذكار»: ١٩.

(٣) «هدية العارفين»: ٢/١٢٩، و«القرطبي ومنهجه في التفسير» ٤٧ـ٤٨.

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» ١٥/٢١٧.

(٥) الكتاب مفقود، ينظر: «القرطبي ومنهجه في التفسير»: ٤٨.

(٦) الكتاب مطبوع في دمشق سنة ١٩٧٢م.

(٧) ينظر: «طبقات المفسرين» للداودي ٢/٦٦، و«كشف الظنون» ١/٣٨٣، و«التفسير والمفسرون»: ٢/٤٥٥.

(٨) واسمه الكامل: «التبيان في آداب حملة القرآن»، ينظر: «كشف الظنون»: ١/٣٤٠.

وأكثر علماً»[1]، وقد تكلم القرطبي فيه على فضل القرآن وقارئه ومستمعه والعامل به، وكيفية تلاوته[2].

٦ ـ التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة:

أشار إليه القرطبي في تفسيره[3]، ونسبه إليه بعض من ترجم له[4]، وقد جمع فيه الكثير من الأخبار والآثار مما يتعلق بذكر الموت والموتى والحشر والجنة والنار والفتن وأشراط الساعة[5].

وقد بوَّبه أبواباً جعل في نهاية كل باب فصلاً ذكر فيه ما يُحْتاج إليه من بيان غريبٍ أو إيضاح مُشْكِلٍ[6].

توجد للكتاب نسخة خطية في مكتبة (المتحف العراقي) عدد لوحاتها اثنتان وثلاثون وخمسمائة لوحة[7].

وقد اختصر الكتاب عالمان فاضلان هما:

١ ـ عبدالوهاب الشعراني ت: ٩٧٣هـ[8]، وسماه: «مختصر تذكرة القرطبي»[9]، والكتاب مطبوع في القاهرة.

---

(١) «طبقات المفسرين» للداودي ٢/٦٦.

(٢) «التذكار في أفضل الأذكار» /١٢.

(٣) من ذلك: ١/٩٦، ١٤/٢٢٩، ٢٠/٢١٧.

(٤) «الوافي بالوفيات» ٢/١٢٣، و«شذرات الذهب» ٥/٣٣٥.

(٥) «كشف الظنون» ١/٣٩٠.

(٦) «هدية العارفين» ٢/١٢٩.

(٧) «فهرست مخطوطات المتحف» ١٩٠٧ (وعظ).

(٨) «شذرات الذهب» ٨/٣٧٢.

(٩) «مختصر تذكرة القرطبي»/١.

٢ ـ أحمد محمد السحيمي ت: ١١٧٨هـ[١]، وسماه: «التذكرة الفاخرة في أحوال الآخرة»[٢].

٧ ـ التقريب لكتاب التمهيد:

شرح القرطبي «التمهيد» لابن عبد البر القرطبي، وسماه «التقريب لكتاب التمهيد» وكلاهما في الفقه والحديث[٣].

نسبه إليه كل من: بروكلمان والزركلي[٤]، وتوجد للكتاب نسخة خطية في (خزانة القرويين) في المغرب[٥].

٨ ـ الجامع لأحكام القرآن:

وهو ما يعرف بتفسير القرطبي، والكتاب هو موضوعنا، وسيكون لنا حديث مفصل عنه بعد قليل.

٩ ـ رسالة في ألقاب الحديث:

نسبه إليه بروكلمان، وذكر وجود نسخة خطية منه مودعة في مكتبة الجزائر، وتابعه القصبي زلط في ذٰلك[٦].

---

(١) «معجم المؤلفين» ٢/ ١٣٠.

(٢) «أعلام العرب في العلوم والفنون» ٢/ ٩٢.

(٣) «تأريخ الأدب العربي» لبروكلمان ٣/ ٢٧٦.

(٤) المصدر السابق، و«الأعلام» للزركلي ٥/ ٣٢٢.

(٥) «الأعلام» للزركلي ٥/ ٣٢٢.

(٦) «تأريخ الأدب العربي» لبروكلمان ٣/ ٢٧٦، و«القرطبي ومنهجه في التفسير» /٤٩.

١٠ ـ شرح الأرجوزة:

ذكر حاجي خليفة أن القرطبي قد شرح أرجوزته في أسماء النبي ﷺ[١]، ويبدُو لي أن الكتاب مفقود إذ لم أعثر على أيةِ إشارة تدل على أن هناك نسخاً مخطوطة منه.

١١ ـ شرح التقصي:

شرح القرطبي كتاب «التقصي» لابن عبد البر القرطبي[٢]، الذي هو شرح لموطأ الإمام مالك بن أنس[٣]، وقد نسبه إليه عدد من الذين ترجموا له مثل الداودي وإسماعيل البغدادي[٤].

١٢ ـ قمع الحرص بالزهد والقناعة:

نسب ابن فرحون إلى القرطبي كتاباً موسوماً بـ(قمع الحرص بالزهد والقناعة، ورد ذل السؤال بالكف والشجاعة)، ووصفه بأنه لم يَرَ تأليفاً أحسنَ منه في بابه[٥].

وقد ذكر بروكلمان أن للكتاب نسختين خطيتين: إحداهما ـ في مكتبة (برلين) تحت رقم (٨٧٨٧)، والأخرى مودعة في مكتبة (الفاتح) في استانبول تحت رقم (٢٧٣٧)[٦].

---

(١) «كشف الظنون» ٦٢/١.

(٢) المصدر نفسه ١٩٠٧/٢، والكتاب مفقود، ينظر: «القرطبي ومنهجه في التفسير» /٤٧.

(٣) «تأريخ الأدب العربي» لبروكلمان ٢٧٦/٣.

(٤) «طبقات المفسرين» للداودي ٦٦/٢، و«هدية العارفين» ١٢٩/١.

(٥) «الديباج المذهب» /٣١٧.

(٦) «تأريخ الأدب العربي» لبروكلمان، نقلاً عن: «القرطبي ومنهجه في التفسير»/٤٨.

١٣ ـ اللمع اللؤلؤية:

شرح القرطبي كتاباً بعنوان: «العشرينات النبوية»، وسمى الشرح «اللمع اللؤلؤية»، ونسب المتن للفاداري، ولم أعثر على ترجمة أحد اشتهر بهٰذا اللقب فيما اطَّلعت عليه من كتب التراجم، وقد أشار القرطبي إلى هٰذا الكتاب في تفسيره[١]، وهو من كتبه المفقودة على ما يترجح عندي.

١٤ ـ المصباح في الجمع بين (الأفعال والصحاح):

جمع القرطبي في هٰذا الكتاب بين كتابي: «الأفعال» لابن القطَّاع، و«صحاح اللغة» للجوهري.

نسبه إليه بروكلمان، وذكر أن للكتاب نسخة خطية مودعة في مكتبة (بريل) بليدن في هولندا[٢].

١٥ ـ المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس:

شرح القرطبي «موطأ مالك»، وهو غير «شرح التقصي»، المتقدم ذكره، وقد أشار إليه القرطبي في تفسيره أكثر من مرة[٣]، إلا أني لم أعثر على شرح لموطأ مالك للقرطبي بين شروح الموطأ[٤]، ولم أعثر

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ١٠/٢٦٨، ١٦/١٤٦، و«القرطبي ومنهجه في التفسير» /٥٠.

(٢) «تأريخ الأدب العربي» لبروكلمان، نقلاً عن: «القرطبي ومنهجه في التفسير»/٤٨.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» ١/١٧٣، ٣/٩، وينظر: «القرطبي ومنهجه في التفسير» /٤٩.

(٤) «كشف الظنون» ٢/١٩٠٧ـ١٩٠٨.

أيضاً على أيَّةِ إشارة تدل على أن هٰذا الكتاب ما زال موجوداً مطبوعاً أو مخطوطاً.

وفـــاته:

اتفق الذين ترجموا للقرطبي على أن وفاته كانت في (منية بني الخصيب) من صعيد مصر، وذٰلك في سنة ٦٧١هـ[1].

---

(١) «نفح الطيب» ٢/٢١٠، وينظر: «طبقات المفسرين» للسيوطي /٣٩، و«شذرات الذهب» ٥/٣٢٥، و«القرطبي ومنهجه في التفسير» /٣٠.

٢ ـ تفسيره

«عرض عام للتفسير»

سمى القرطبي تفسيره بـ«الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان»[١].

وقد بين سبب تأليفه هٰذا التفسير عندما قال:

«فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع، الذي استقل بالسنة والفرض، ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض ـ رأيت أن أشتغل به مدى عمري وأستفرغ فيه مُنَّتي[٢]»[٣].

وقد سمى تفسيره هٰذا تعليقاً، ولكن مثل هٰذا التعليق قد جاء سفراً كبيراً وصفه العلماء بأنه في خمسة عشر مجلداً[٤]، وقد طبع في بدء منتصف هٰذا القرن، فجاء في عشرين جزءاً.

أما وقت تأليفه التفسير فلم يشر القرطبي نفسه إلى ذٰلك، ولم أجد أحداً أشار إلى ذٰلك أيضاً، ولكني أرجح أنه كان آخر مؤلفاته لدليلين، هما:

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ١/٣.

(٢) أي: قوتي، ينظر: «الصحاح» (منن).

(٣) المصدر نفسه: ١/٣.

(٤) «طبقات المفسرين» للداودي ٢/٦٦، وينظر: «التفسير والمفسرون» ٢/٤٥٩.

١ ـ ما أشار إليه من أنه سيشتغل به مدى عمره[١].

٢ ـ أنه ذكر غالب مؤلفاته الأخرى فيه[٢].

«مادة التفسير»

بيَّن القرطبي مادة تفسيره، وذلك في مقدمته حيث قال عنه: «يتضمن نكتاً من التفسير واللغات والأعراب والقراءات، والرد على أهل الزيغ والضلالات، وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام، ونزول الآيات، جامعاً بين معانيها، ومبيناً ما أشكل منهما بأقاويل السلف، ومن تبعهم من الخلف...، وشرطي في هٰذا الكتاب إضافة الأقوال إلى قائليها، والأحاديث إلى مصنفيها... وأضرب عن كثير من قصص المفسرين وأخبار المؤرخين إلاَّ ما لا بد منه ولا غنى عنه للتبيين، وأعتضت من ذٰلك تبيين آي الأحكام بمسائل تسفر عن معناها، وترشد الطالب إلى مقتضاها، فضمنت كل آية تتضمن حكماً أو حكمين، فما زاد ـ مسائل نبين فيها ما تحتوي عليه من أسباب النزول، والتفسير الغريب والحكم، فإن لم تتضمن حكماً ذكرت ما فيها من التفسير والتأويل، وهٰكذا إلى آخر الكتاب»[٣]. وأوضح الداودي ما ذكره القرطبي في تفسيره عندما قال عنه: «أسقط منه القصص والتواريخ، وأثبت عوضها أحكام القرآن واستنباط الأدلة، وذكر القراءات والأعراب، والناسخ والمنسوخ»[٤].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ١/٣.

(٢) المصدر نفسه ١/٩٦، ٢/١٥٨، ٥/٢١٦، ١٠/٢٦٨، ١٥/٢١٧.

(٣) المصدر نفسه ١/٣.

(٤) «طبقات المفسرين» للداودي ٢/٦٦.

وقد بدأه بخطبة تكلم فيها على علو شأن المفسرين[1]، وطريقته في التفسير[2]، ثم ذكر عدة أبواب تكلم في كل منها على قضية تتصل بالقـرآن وقارئه ومتعلمه، ومستمعه[3]، وتلاوته[4]، وما جاء في إعراب القرآن وتعليمه[5]، وتفسيره[6]، وما يلزم قارئه وحامله من تعظيم له[7] وحرمة، وما جاء من الوعيد في تفسير القرآن بالرأي[8]، والحث على تفسيره بالسنة[9]، ومعنى الحروف السبعة التي نزل بها، وهل المقصود بها القراءات السبع أو لا؟[10].

«منهجه في التفسير»

إنَّ «تفسير القرطبي» تفسيرٌ جامع اتبع فيه منهجاً متعدد السمات، وكثيراً ما تأتي مباحثه متداخلة للصلة الوثيقة بين العلوم التي تطرق إليها فيه كالفقه، واللغة، والنحو، والقراءات القرآنية، وعلوم القرآن من ناسخ ومنسوخ، وأسباب النزول، وهٰذا التعدد في جوانبه جعل منهجه متشعب السمات، وطرق عرضه مختلفة، واتضح لي من خلال دراسة تفسيره أنه يمكن أن تحصر سمات منهجه في الأمور الآتية:

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ١/١.

(٢) المصدر نفسه ١/٣.

(٣) المصدر نفسه ١/٤.

(٤) المصدر نفسه ١/١٠.

(٥) المصدر نفسه ١/٢٣.

(٦) المصدر نفسه: ١/٢٦.

(٧) المصدر نفسه ١/٢٦.

(٨) المصدر نفسه ١/٣١.

(٩) المصدر نفسه ١/٣٧.

(١٠) المصدر نفسه ١/٤١.

١ ـ اعتماده على النقل ونسبة الرأي إلى قائله.

٢ ـ إفراده مسائل للغة وأخرى للنحو.

٣ ـ ذكره المسائل النحوية والمسائل اللغوية مقترنة بالقراءات القرآنية.

٤ ـ إكثاره من الاستشهاد بالشعر.

٥ ـ تفسيره القرآن بالقرآن.

٦ ـ تفسيره القرآن بالحديث.

٧ ـ اهتمامه بتفسير المفردات.

٨ ـ اعتماده على المسائل النحوية واللغوية في بيان الأحكام الفقهية.

٩ ـ عنايته بالناسخ والمنسوخ.

١٠ ـ عنايته بأسباب النزول.

وعلى هدى ذٰلك أعرض أمثلة لكل من هٰذه السمات فيما يأتي:

أولاً: اعتماده على النقل ونسبة الرأي إلى قائله:

وهٰذا هو الغالب عنده[1]. من ذٰلك ما ذكره من اختلاف العلماء فيمن تؤخذ منه الجزية، حيث قال:

«اختلف العلماء في من تؤخذ منه الجزية:

قال الشافعي رحمه الله: لا تقبل الجزية إلا من أهل الكتاب خاصة

---

(١) ينظر مثلاً: «الجامع لأحكام القرآن» ١/١٤٤، ٢٢٠، ٢/٤، ٨، ٢٨، ٥/١٦، ٧/٣٥٢، ٨/١٣٦، ٩/٢، ١١/١٣٤، ١٥/٦٠، ١٧/١٢٨، ١٩/١٢٤.

عرباً كانوا أو عجماً... وبه قال أحمد وأبو ثور، وهو مذهب الثوري وأبي حنيفة وأصحابه.

وقال الأوزاعي: تؤخذ الجزية من كل عابدِ وَثَنٍ أو نارٍ أو جاحدٍ أو مكذِّبٍ، وكذلك مذهب مالك...

وقال ابن القاسم وأشهب وسحنون: تؤخذ الجزية من مجوس العرب والأمم كلِّها...

وقال ابن وهب: لا تقبل الجزية من مجوس العرب، وتقبل من غيرهم...

وقال ابن الجهم: تقبل الجزية من كل مَن دان بغير الإسلام»[1].

ومن ذلك ما فعله في حديثه عن قوله تعالى: ﴿غَافِرَ الذَّنْبِ﴾[2] حيثُ بَيَّنَ أَوْجُهَ الإعراب فيها، فقال: «قال الفراء[3]: جعلها كالنعت للمعرفة وهي نكرة، وقال الزجاج: هي خفض على البدل»[4].

ومثل ذلك ما فعله في حديثه عن معنى الشكر، حيث بيّن اختلاف العلماء في معناه ونسب كل قول إلى قائله، فقال: «عبارات العلماء في معنى الشكر:

قال سهل بن عبدالله: الشكر: الاجتهاد في بذل الطاعة مع الاجتناب للمعصية...

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ٨/١١٠-١١١.

(٢) غافر: ٣.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ٣/٥.

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» ١٥/٢٩٠.

وقال الجنيد: حقيقة الشكر: العجز عن الشكر.

وقال السبكي: الشكر: التواضع، والمحافظة على الحسنات، ومخالفة الشهوات، وبذل الطاعات، ومراقبة جبار الأرض والسماوات.

وقال ذو النون المصري، أبو الفيض: الشكر لمن فوقك بالطاعة، ولنظيرك بالمكافأة، ولمن دونك بالإحسان والأفضال»[1].

ثانياً: إفراده مسائل للغة وأخرى للنحو:

كان يهتم بمسائل العربية وبخاصة ما يتصل منها باللغة والنحو، وهو حينما يعرض تلك المسائل يقرنها بغيرها غالباً، وقد يبحثها في مسألة خاصة يفردها لها أحياناً أخرى.

فمثلاً لما تعرض لتفسير قوله تعالى: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ باللَّغْوِ في أَيْمَانِكُمْ﴾[2] تناولها في أربع مسائل: خصص الأولى منها لبحث مسألة لغوية تحدث فيها عن معنى (اللَّغْو) حيث قال: «الأَوْلى ـ قوله تعالى: ﴿باللَّغو﴾، اللَّغْو: مصدر لَغَا يَلْغُو ويَلْغَى، ولَغِيَ يَلْغَى لَغاً: إذا أتى بما لا يحتاج إليه في الكلام، أو بما لا خير فيه، . . . وفي الحديث: «إذا قلتَ لصاحبك والإمام يخطب يوم الجمعة أنصتْ، فقد لغوت»، ولغة أبي هريرة: «فقد لَغَيْتَ»، وقال الشاعر:

ورُبَّ أَسْرابِ حَجِيجٍ كُظَّمِ
عن اللَّغَا ورَفَثِ التَّكَلُّمِ

وقال آخر:

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن»: ١/٣٩٨.

(٢) البقرة: ٢٢٥.

ولستُ بمأخوذٍ بلَغْوٍ تقولُه
إذا لم تُعَمّدْ عاقداتِ العزائِمِ[1]

ومن ذلك أيضاً إفراده مسألة للحديث عن معنى: «البرِّ»، وأنَّها من المشترك اللفظي، بحيث قال: «الخامسة ـ قوله تعالى: ﴿بالبرِّ﴾[2]، البر هنا: الطاعة، والعمل الصالح، والبر: الصدق، والبر: ولد الثعلب، والبر: سَوْقُ الغنم، ومنه قولهم: «لا يَعرِفُ هِرّاً من برٍّ»، أي: لا يعرف دعاء الغنم من سَوْقها، فهو مشترك، وقال الشاعر:

لاهُمَّ رَبِّ إنَّ بَكْراً دُوْنَكَا
يَبُرُّكَ النَّاسُ ويَفْجُرُونَكَا

أراد بقوله: يبرك الناس، أي: يطيعونك، ويقال: إن البر: الفؤاد في قوله:

أَكُونُ مَكَانَ البِرِّ منكَ ودُونَهُ
وأَجْعَلُ مَالِي دُوْنَهُ وأَوَامرُه[3]

أما المسائل التي أفردها للنحو فكثيرة، منها ما ذكره عند حديثه عن دخول (الفاء) في قوله تعالى: ﴿ورَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[4]، حيث قال: «الفاء في قوله تعالى: ﴿ورَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ دخلت على معنى الجزاء، كما دخلت في: ﴿فأَنْذِرْ﴾[5]، أي: قم فأنذر وقم فكبر ربك»، قاله الزجاج.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ٣/٩٩، وينظر: «اللسان»: (لغو).
(٢) البقرة: ٤٤.
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» ١/٣٦٨.
(٤) المدثر: ٣.
(٥) المدثر: ٢.

وقال ابن جني: هو كقولك: زيداً فاضرب، أي: زيداً اضرب، فالفاء زائدة»[1].

ثالثاً: ذكره المسائل النحوية واللغوية مقترنة بالقراءات القرآنية:

وذلك هو الغالب على تفسيره، من ذلك ما ذكره في حديثه من قوله تعالى: ﴿يا حَسْرَةً على العِبَادِ﴾[2] حيث ذكر القراءات الواردة في الآية، وبيّن معنى الحسرة، ووجه القراءة نحوياً: فذكر اختيار الفراء وجهاً من الإعراب وردَّ النحاس عليه، فقال: ﴿يا حَسْرَةً على العِبَادِ﴾ منصوب؛ لأنه نداء نكرة، ولا يجوز فيه غير النصب عند البصريين[3].

وفي حرف أُبَيّ[4]: ﴿يا حَسْرَةً على العِبَادِ﴾ على الإضافَةِ.

وحقيقة الحسرة في اللغة: أن يلحق الإنسان من الندم ما يصير به حسيراً[5].

وزعم الفراء أن الاختيار النصب، وأنه لو رفعت النكرة الموصولة بالصلة كان صواباً...[6]، قال النحاس: وفي هٰذا إبطال باب النداء أو أكثره لأنه يرفع النكرة المحضة، ويرفع ما هو بمنزلة المضاف في طوله، ويحذف التنوين متوسطاً، ويرفع ما هو في المعنى مفعول بغير

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ١٩/٦٢.
(٢) يس: ٣٠.
(٣) «إعراب القرآن» للنحاس ٢/٧١٨.
(٤) «مختصر في شواذّ القرآن» /١٢٥.
(٥) «المفردات في غريب القرآن»/١١٨.
(٦) «معاني القرآن» للفراء ٢/٣٧٥.

علة أوجبت ذٰلك»[1][2].

رابعاً: إكثاره من الاستشهاد بالقرآن والشعر:

من ذٰلك ما فعله عند حديثه عن معنى (النصر)، حيث قال:

النصر: العون، والأنصار: الأعوان، ومنه قوله: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إلى الله﴾[3].

والنصر: الإتيان، يقال: نصرت أرض بني فلان: أتيتها، قال الشاعر:

إذا دَخَلَ الشَّهْرُ الحَرَامُ فَوَدِّعِي
بِلادَ تَمِيمٍ وانْصُرِي أَرْضَ عَامِرِ

والنصر: العطاء، قال:

إِنِّي وأَسْطَارٍ سُطِرْنَ سَطْرَا
لَقَائِلٌ يَا نَصْرُ نَصْرَاً نَصْرَا[4]

خامساً: تفسيره القرآن بالقرآن:

من ذٰلك ما ذكره في معنى (النسب) من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وبَيْنَ الجِنَّةِ نَسَبَا﴾[5]، إذ ذكر أكثرَ من معنىً وقولٍ للعلماء في

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس ٢/٧١٨.
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» ١٥/٢٢.
(٣) آل عمران: ٥٢.
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» ١/٣٨٠-٣٨١.
(٥) الصافات: ١٥٨.

تفسير هٰذه اللفظة[1]، ثم رجَّح ما ذهب إليه الحسن مستدلاً بالقرآن الكريم، فقال: «قال الحسن: أشركوا الشيطان في عبادة الله فهو النسب الذي جعلوه».

قلت: قول الحسن في هٰذا أحسن، دليله قولـه تعـالى: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ العَالَمِينَ﴾[2]، أي: في العبادة»[3].

سادساً: تفسيره القرآن بالحديث:

من ذٰلك ما جاء في حديثه عن معنى (العقب) من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَها كَلِمَةً بَاقِيَةً في عَقِبِه﴾[4] حيث ذكر أحدَ عشر معنى لها[5]، منها العشيرة، وأيَّد ذٰلك بالحديث، فقال: «اللفظ التاسع ـ العشيرة، ويضبطه الحديث الصحيح: «إنَّ الله تعالى لما أنزل: ﴿وأَنْذِرْ عَشِيْرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[6] دعا النبي ﷺ بطون قريش وسماهم ـ كما تقدم ذكره ـ وهم العشيرة الأقربون»[7].

سابعاً: عنايته بتفسير المفردات:

من ذٰلك ما ذكره في معنى (المعاذير) حيث ذكر لها ثلاثة معان:

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ١٥/١٣٤-١٣٥.

(٢) الشعراء: ٩٨.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» ١٥/١٣٥.

(٤) الزخرف: ٢٨.

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/٧٨-٨٢.

(٦) الشعراء: ٢١٤.

(٧) «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/٨١.

١ ـ الستور وهو جمع (سَتْر) وهو بلغة اليمن المعذار عند الزجاج[١].

٢ ـ جمع مِعْذار بمعنى العذر، قاله مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وعبدالرحمٰن بن زيد وأبو العالية وعطاء والفراء[٢].

٣ ـ الثياب: قاله ابن عباس، وقد رجح القرطبي المعنى الثاني منها، حيث قال: «والأظهر أنه الإدلاءُ بالحجة والاعتذار من الذَّنب»[٣].

ثامناً: اعتماده على النحو واللغة في بيان الأحكام الفقهية:

من ذٰلك ما ذكره من اختلاف اللغويين في معنى (حُصِرَ) و(أُحْصِرَ)[٤]، وقد أدى ذٰلك إلى اختلاف الفقهاء في الحكم المستخلص من قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُم فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الهَدْيِ﴾[٥]، فقد اتفقوا على أن الآية بينت حكم من منعه العدو عن الوصول إلى مكة[٦]، واختلفوا في ثبوت ذٰلك لمن منعه عنه المرض.

فمن ارتضى دلالة (أحصر) على العدو والمرض[٧] أثبت هٰذه الأحكام لمن منعه عن الحج المرض، وهم كلٌّ من: ابن مسعود وابن عباس وأبي حنيفة وأصحابه والثوري وعطاء[٨].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن»: ١٩/١٠٠.

(٢) المصدر نفسه ١٩/١٠٠-١٠١.، و«معاني القرآن» للفراء ٣/٢١١.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» ١٩/١٠١.

(٤) المصدر نفسه ٢/٣٧١.

(٥) البقرة: ١٩٦.

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» ٢/٣٧٢.

(٧) «أحكام القرآن» للجصاص ١/٢٦٨.

(٨) «الجامع لأحكام القرآن» ٢/٣٧٤، و«أحكام القرآن» للجصاص ١/٢٦٨

ومن لم يرتض ذٰلك وفرَّق بين حصر وأحصر على أن الأول للمرض والثاني للعدو ـ لم يثبت هٰذه الأحكام لمن منعه المرض عن الحج وهم كلٌّ من: ابن عمر ومالك والشافعي وأحمد[1].

تاسعاً: عنايته بالناسخ والمنسوخ:

اهتم القرطبي كثيراً بالناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، وتعرض في ثنايا ذٰلك إلى اختلاف العلماء في ذٰلك وأبدى رأيه فيه.

والأمثلة على ذٰلك كثيرة، أذكر منها ما أورده في حديثه عن قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عن الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيه، قُلْ قِتَالٌ فِيه كَبِيرٌ﴾[2] حيث تكلَّم عليها وبَيَّنَ أنَّ الجمهور يقول بنسخها، وبَيَّنَ أيضاً اختلافهم في ناسخها وضعّف قول من قال بأنها نسخت ببيعة الرضوان[3].

عاشراً: عنايته بأسباب النزول:

من ذٰلك ما ذكره في سبب نزول قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّما أَدْعُو رَبِّي ولا أُشْرِكُ به أَحَدا﴾[4]، حيث قال عن ذٰلك: «وسبب نزولها أن كفار قريش قالوا له: إنك جئت بأمر عظيم، وقد عاديت الناس كلهم، فارجع عن هٰذا فنحن نجيرك، فنزلت هٰذه الآية»[5].

هٰذه أهم سمات منهجه الذي سلكه في تفسيره وقد ضمن له هٰذا المنهج دراسة القرآن الكريم دراسة واسعة تناول فيها آيات التنزيل من

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ٢/٣٧٤، و«أحكام القرآن» للجصاص ١/٢٦٨.

(٢) البقرة: ٢١٧.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» ٣/٤٣.

(٤) الجن: ٢٠-٢١.

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» ١٩/٢٥.

جوانبها المختلفة سواء أكانت تلك الجوانب مرتبطة بعلوم الشريعة، أم بالقرآن الكريم نفسه، أم بمفرداته وتراكيبه، وقد أَهَّلَه ذٰلك لأن يكون من التفاسير العامة الواسعة، فكان نِعم الزاد لطلاب المعرفة ورُوَّادها من أهل الشريعة وعلماء العربية.

وأمَّا طَرَائِق عرضه في هٰذا التفسير العظيم، فقد كانت إحدى طرائق ثلاث وهي:

١ ـ أنه يتناول تفسير مجموعة من الآيات في أبواب مرتبة على مسائل، وخير مثالٍ على ذٰلك ما فعله عند تفسير سورة الفاتحة[١]، حيث جعل تفسيرها في أربعة أبواب: خصص الباب الأول منها لفضائلها وأسمائها في سبع مسائل[٢]، أما الباب الثاني منها فجعله لنزولها وأحكامها، وذٰلك في عشرين مسألة[٣]، وخصَّص الباب الثالث للحديث عن التأمين وضمّنه ثماني مسائل[٤]، وفي الباب الرابع تحدّث عمّا تضمنته الفاتحة من معانٍ وقراءات وإعراب للآيات، وكان في ست وثلاثين مسألة[٥].

٢ ـ أنَّه يجعل تفسير الآيات على شكل مسائل مستقلة، غير مجموعة في أبواب، وهٰذا هو الغالب على تفسيره نحو ما فعله عند حديثه عن قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا ما أُنْزِلَ إِليكم من ربِّكم ولا تَتَّبِعُوا من

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ١/١٠٨-١٣١.
(٢) المصدر نفسه ١/١٠٨.
(٣) المصدر نفسه ١/١١٤.
(٤) المصدر نفسه ١/١٢٧.
(٥) المصدر نفسه ١/١٣١.

دونه أَوْلياءَ قليلاً ما تَذَكَّرون﴾[1]، حيث جعل تفسيره إياها في مسألتين، فقال: «فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿اتَّبعوا ما أُنْزِلَ إِليكُمْ من رَبِّكم﴾، يعني الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿ومَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ومَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[2]، وقالت فرقة: هٰذا أمر يعم النبي ﷺ وأمته، والظاهر أنه أمر لجميع الناس دونه، أي: اتبعوا ملة الإسلام والقرآن، وأحلّوا حلاله، وحرّموا حرامه، وامتثلوا أمره، واجتنبوا نهيه، ودلّت الآية على ترك اتباع الآراء مع وجود النص.

الثانية: قوله تعالى: ﴿ولا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ (من دونه): من غيره، والهاء تعود على الرب سبحانه، والمعنى: لا تعبدوا معه غيره، ولا تتخذوا من عدل عن دين الله أولياء. وكل من رضي مذهباً، فأهل ذٰلك المذهب أولياؤه، وروي عن مالك بن دينار أنه قرأ: ﴿ولا تَبْتَغُوا[3] من دُونِهِ أَوْلِياءَ﴾، أي: ولا تطلبوا، ولم ينصرف (أولياء) لأن فيه ألف التأنيث، وقيل: تعود على (ما) من قوله: ﴿اتَّبِعُوا ما أُنْزِلَ إليكم من رَبِّكُم﴾، ﴿قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ﴾: (ما) زائدة، وقيل: تكون مع الفعل مصدراً»[4].

٣ ـ أنه يفسر الآية من غير أن يجعلها في أبواب أو مسائل، ومن ذٰلك ما فعله عند تفسيره قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِيْنَ على فُرُشٍ بَطَائِنُهَا من

---

(١) الأعراف: ٣.

(٢) الحشر: ٧.

(٣) «الكشاف» للزمخشري ٢/٥٢، وينظر: «معجم القراءات القرآنية» ٢/٣٤٤.

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» ٧/١٦١-١٦٢.

اسْتَبْرَقٍ وجَنَى الجَنَّتَيْنِ دَانْ﴾[1]، حيث قال: «قوله تعالى: ﴿متَّكِئين على فُرُشٍ﴾ هو نصب على الحال، والفرش جمع فِراش. وقرأ أبو حيوة: «فُرْش» بإسكان الراء. ﴿بطائنها﴾ جمع بِطانة، وهي التي تحت الظهارة، والإستبرق: ما غلظ من الديباج وخشن، أي: إذا كانت البطانة التي تلي الأرض هٰكذا فما ظنك بالظهارة، قاله ابن مسعود وأبو هريرة، وقيل لسعيد بن جبير: البطائن من استبرق، فما الظواهر؟ قال: هٰذا مما قال الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ من قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[2]، وقال ابن عباس: إنما وصف لكم بطائنها لتهتدي إليه قلوبكم، فأما الظواهر فلا يعلمها إلا الله.

وفي الخبر عن النبي ﷺ أنه قال: «ظَواهِرها نورٌ يتلألأ»، وعن الحسن: بطائنها من استبرق، وظواهرها من نور جامد، وعن الحسن أيضاً: البطائن هي الظواهر، وهو قول الفراء[3]، وروي عن قتادة.

والعرب تقول للظهر بطناً، فيقولون: هٰذا ظَهْر السماء، وهٰذا بطن السماء، لظاهرها الذي نراه، وأنكر ابن قتيبة وغيره هٰذا، وقالوا: لا يكون هٰذا إلا في الوجهين المتساويين إذا ولي كل واحد منهما قوماً، كالحائط بينك وبين قوم، وعلى ذٰلك أمر السماء. ﴿وَجَنَى الجَنَّتَيْنِ دَانْ﴾، الجنى: ما يجتنى من الشجر، يقال: أتانا بجناة طيبة لكل ما يجتنى، وثمر جني على فعيل حين جني، وقال:

هٰذا جَنَـايَ وخِـيارُهُ فيهْ
إذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إلـى فِيهْ

---

(١) الرحمٰن: ٥٤.

(٢) السجدة: ١٧.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ١١٨/٣.

وقُرِئ: (جِنَى) بكسر الجيم[1]، ﴿دَانٍ﴾: قريب، قال ابن عباس: تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله إن شاء قائماً، وإن شاء قاعداً، وإن شاء مضطجعاً، لا يرد يده بُعْدٌ ولا شَوْكٌ»[2].

(١) هٰذه القراءة حكاها محبوب: «مختصر في شواذ القرآن» /١٥٠.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/١٧٩-١٨٠.